البيان

السنة الاولى — الجزء الثامن عشر

١٦ اوغسطس سنة ١٨٩٨

البحوث القطبية

ما زالت البحوث تتوالى من الآفاق الاوربية والاميركية الى الجهات الشمالية بقصد الوقوف على نواحي القطب وتخطيط ما هناك من الاراضي والبحار والكشف عما بقي غامضاً من طبيعة الارض وطبقاتها والبحث في تأثير البرد على الاجسام الجمادية والعضوية ومراقبة ميل الابرة المغنطيسية ووصف تلك الليالي الطويلة التي تستمرّ اشهراً لا يُرَى فيها الاّ ضوء الشفق القطبيّ الى غير ذلك

واوّل بحثٍ وُجّه الى تلك النواحي كان سنة ١٥٨٥ جهزتهُ الدولة الانكليزية تحت إمرة الربان يوحنا داويس قيل وكان غرضها اذ ذاك البحث عن طريقٍ تُختصَر بهِ المسافة الى الهند الشرقية من ناحية الشمال الغربي من اميركا فقضى عدة رِحلاتٍ في تلك الاقاليم وعاد بغير طائل وهو الذي اكتشف جزيرة كمبرلند والمضيق المنسوب اليهِ الفاصل بين هذه الجزيرة وجزيرة غرنلند. ثم في سنة ١٦٠٩ وُجّه بحثٌ آخر يرأسهُ الربان

هدسون جهزهُ جماعةٌ من تجار الانكليز لمثل المقصد المذكور فاكتشف عدَّة مواضع من اميركا الشمالية منها المضيق المسمى باسمهِ واستمرَّ في تلك الارض الى سنة ١٦١١ وارتحل بعدهُ بافين سنة ١٦١٢ ثم سنة ١٦١٥ و١٦١٦ فبلغ الى الدرجة ٧٨ من العرض الشمالي واخفق كلٌّ من هذين ايضاً وانقطع الرحيل بعد ذلك الى سنة ١٧٧١ ومذ ذاك تتابعت البعوث ولا سيما بعد سنة ١٨١٨ وهي السنة التي وُجِّه فيها جون روس للكشف عن البحر المعروف بخليج بافين ولم يزل الوفد يتبع الوفد حتى كانت رحلة فرنكلين من سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٦ وقد قطع مسافة ٩٠٠ ميل بحيث لم يدع في تلك الشواطئ موضعاً لم يطأهُ الاَّ قليلاً فاثبت ان البحر القطبيَّ قد يخلو من الجمد مدَّةً تعبر في اثنائها السفن الى الباسيفيك من احد مضايق الاتلنتيك

وقد نشأ عن هذه الرحل فوائد جمة في علم الجغرافية بحيث اصبح اكثر تلك النواحي مخططاً تخطيطاً مدققاً بتوالي الاكتشافات وتتابع البعث على اثر البعث حتى لم تبقَ جهةٌ من برٍّ ولا بحر مما امكن اوصول اليهِ الى ذلك الحين الاَّ قرعوا سبلها وجاسوا خلالها مرارًا

وعلى عقب ذلك انصرفت الهمم الى كشف ما بقي من الارض الى نقطة القطب وتحوَّل البحث علمياً بحتاً فوُجِّه في السنة نفسها السير بري وهي ثالث رحلةٍ لهُ الى تلك النواحي فانطلق في الوجهة التي رُسمت لهُ حتى انتهى الى الجزُر السبع في شمالي سبتزبرج ثم حِيل بينهُ وبينها بالجمد فمضى في طريقهِ شمالاً بين الجمد المتكسر حتى بلغ الى ٨١° و٥° و٣٢° من العرض

الشمالي وفي السنة التالية اعاد الكرّة حتى بلغ الى ٨٢° و٤٥' بعد ان قطع

منظر جبال الجمد في النواحي القطبية

نحو ٢٧ مرحلة عن شمال سبتزبرج وقد بقي بينهُ وبين القطب مسافة ٢٠٣

مراحل وهي نحو ٦٠٨ اميال ثم حالت دونهُ جبال الجمد فانقلب راجعاً

وفي سنة ١٨٢٩ عاد الربان روس فرحل للكشف عما بقي من شطوط اميركا شمالاً على نفقة نفسهِ ونفرٍ من اصحابهِ فاستمرّ في هذه الرحلة مدة اربع سنوات بين الجمد اكتشف في خلالها مواضع شتى من اخوار وجزُر وغيرها وكان اهمّ ما في سفرتهِ هذه تعيين القطب المغنطيسي للارض فان ابرة الميل التي كانت في صحبتهِ بلغ ميلها ٨٩° و ٥٩' فلم يبقَ الا دقيقةٌ واحدة حتى تكون قائمة

وفي سنة ١٨٣٣ ارتحل الربان باك فطاف اكثر المواضع التي اكتشفها روس وانتهى الى مواضع اخرى وتلت ذلك رِحَلٌ أُخرى تواصل الكشف فيها الى سنة ١٨٣٩ بحيث لم تبقَ بقعةٌ في شمالي اميركا الاَّ سلكت وخُططت ومن اشهر تلك الرحل رحلة كانّ سنة ١٨٥٣ بقصد الوصول الى البحر السائل في جوار القطب على ما اخبر عنهُ بعض السائحين وقد استمرّ فيها الى سنة ١٨٥٥ وزعم انهُ عاين البحر المذكور ثم رحلة نارس سنة ١٨٧٥ وقد انتهى فيها الى ٨٣° و ٢٠' من العرض الشمالي ونصب العلم الانكليزي هناك ثم رحلة غريلي من سنة ١٨٨١ الى ١٨٨٤ وكانت بعثتهُ اميركانية فبلغ ٨٣° و ٢٤' اي وراء ما بلغ اليهِ نارس باربع دقائق من العرض وهي نحو خمسة اميال

وبياناً لمقدار اجتهاد اولئك القوم وشدة اقدامهم على الاخطار في سبيل العلم نورد ملخص ما وقع لغريلي واصحابهِ من الاهوال والمهالك مما اشتهر وقتئذٍ في الجرائد ولم يكن من عاقبتهِ الاَّ ان زاد القوم اجتهاداً وتهافتاً على مثل هذه الاسفار طمعاً في احراز الفخر وتطالاً الى تخليد الذكر

وقد كان ذلك الركب مؤلفاً من سبعة وعشرين رجلاً خرجوا في ١٧ من يوليو سنة ١٨٨١ مجهزين بالآلات العلمية وكل ما يحتاجون اليهِ للوقاية من سطوة البرد الشديد في تلك الاصقاع فبلغوا الطِيَّة التي نووا ان يجعلوها محطةً لهم في ١١ من اوغسطس على ما كتب بهِ غريلي اذ ذاك ثم انقطعت اخبارهم وحِيل دون الوصول اليهم بدخول الشتاء . ولما كانت السنة التالية ارسلت الحكومة الاميركانية وفادة امدادٍ لهم في سفينةٍ بعثت بها في اوائل الصيف سنة ١٨٨٢ فبلغت الى الدرجة ٧٩ من العرض الشمالي ثم لم تستطع ان تتقدم لما اعترضها من تراكم الجمد فرجعت ادراجها ومضى الامر على ذلك الى سنة ١٨٨٣ فارسلت وفادةً اخرى فحيل دونها ايضاً . ولما كانت سنة ١٨٨٤ عادت الحكومة الاميركانية والحكومة الانكليزية فوجهتا ثلاث سفن للكشف عنهم فسارت تلك السفن في شهر ابريل من تلك السنة فعانت جهداً عظيماً في تخطي الجمد العائم وبثت الزوارق والزلاجات في تلك الارجاء فاصاب بعضها صندوقاً في جزيرة برافورت بالقرب من رأس صابين فيهِ رقعةٌ من غريلي بتاريخ ٢٦ من اكتوبر سنة ١٨٨٣ يدلّ فيها على موضعهِ اذ ذاك ويذكر في جملتها انهُ لم يبقَ عندهُ من الزاد الا ما يكفي اربعين يوماً وكان وقوفهم على هذه الرقعة بعد ثمانية اشهر

فوجهوا خُطاهم الى الجهة التي اشار اليها حتى بلغوها بعد النَصَب الشديد من مقاومة العواصف الجمدية وفي اليوم نفسهِ وهو ٢٢ من يونيو ابصروا على مسافة نحو خمسة اميال خيمةً مقوّضة فلم يشكّوا انها خيمة غريلي ورفاقهِ فبادروا اليها وشقّوها بالمُدَى فاذا تحتها منظرٌ تنفطر لهُ القلوب رحمةً واسفاً

ألاَ وهو سبعة رجال يعالجون نزع الروح وحولهم نحو هذا العدد من الجثث الهامدة وكان غريلي جاثياً على ركبتيهِ وهو يتلو صلاة النزع

وكان هؤلاء المساكين الباقون يتوقعون ساعة الموت وهم تحت ذلك الكفن اي الخيمة التي قوّضتها الريح من فوقهم ولم يكن فيهم قوّة لرفعها ولو ابطأ الوفد عنهم ثماني وار بعين ساعةً لما وجدوا ثمة الاّ جثث اموات

فلما رآهم غريلي واصحابهُ اصابهم من الفرح شبه الجنون فالقوا بانفسهم على ايدي الوافدين وارجلهم يقبلونها ويغسلونها بالدموع ثم توسلوا اليهم ان يمسكوا رمقهم بشيء من الطعام وكان قد اتى عليهم عدّة اسابيع لا قوت لهم الاّ الطحالب وبعض السراطين الصغيرة حتى كانوا منذ ايام ياكلون ما في بعض ملابسهم من سيور الجلد

وكان من حديثهم في سفرتهم تلك انهم بعد ان قاسوا اشدّ الاهوال من مهاجمة العواصف ومقاومة جبال الجمد وصلوا الى رأس صابين في ٢٩ من ستمبر سنة ١٨٨٣ وقد اصاب زورقهم تلفٌ كثير حتى لم يعد يصلح للركوب فلم يبقَ لهم بدٌّ من التأهب لقضاء فصل الشتاء في ذلك الموضع فعمدوا الى حطام الزورق واشرعتهِ وابتنوا منها خيمةً يأوون اليها فلبثوا منقطعين ثمة ثمانية اشهر وكان البرد على اشدّ مبالغهِ حتى كانت المخادّ والدثُر كثيرًا ما تلتصق بالارض بما يغشاها من الجمد فاوقدوا ما بقي من حطام الزورق ولم يبقَ لهم من ادوات النقل الاّ قاربٌ صغير كان رجلٌ من المعروفين بالاسكيمو يركبهُ للصيد وان الرجل المذكور بينا كان في ٤ ابريل جادًّا في اثر حيوان يصطادهُ غرق بهِ قاربهُ فابتُلع كلاهما في جوف البحر

فكان فقد هذا الصيّاد ضربةً قاضية على الرفقة ولا سيما انهُ لم يبقَ عندهم ما يستعينون بهِ على طلب الصيد فانحصر طعامهم في بقية قليلة من اللحم والخبز لم تلبث ان فرغت بعد ايام قلائل ولاجل ما نالهم من الجوع والبرد تناوبتهم الامراض وشرع الموت فيهم بحيث انهُ من شهر يناير سنة ١٨٨٤ الى اليوم الذي وصل فيهِ المدد كان قد هلك منهم عشرون نفساً وبقي سبعةٌ فقط فيهم غريلي الآ ان احدهم مات بعد ذلك بقليل بسبب قطع ساقيهِ بعد موتهما بالتجمد

ومع ما بلغوا اليهِ من تلك الحال وذهاب كل املٍ لهم في النجاة فانهم لم يكفّوا عن البحث ما وجدوا الى ذلك سبيلاً وحملتهم قوائم على الانتقال في تلك الاراضي المتجمدة حتى انهُ في شهر مارس بعد ان كانت المنية تتخطف الواحد منهم بعد الآخر بسلاح البرد والجوع ارتقى احدهم المسمى بالسير جان لُنغ الى قمة جبل كُورَغ واكتشف من هناك مضيق هيَس فوجد انهُ يمتدّ غرباً الى مسافة ٣٠ كيلومترًا ورآء الحدّ الذي رسمهُ نارس على الخرائط الانكليزية

وكانت فصول الشتآء الثلاثة التي قضاها هذا البعث في تلك النواحي من اشدّها بردًا وافساها حتى بلغ البرد ٥٠ درجةً تحت الصفر من السنتغراد وكانت سرعة الريح تبلغ احياناً ٩٠ الى ١٣٠ كيلومترًا في الساعة الا انهُ مع ذلك كلهِ كانت الحياة الحيوانية متوفرةً في تلك الاقاليم حتى في ابردها درجةً وقد عاينوا في جزيرة لكوود آثار الدببة والارانب والثعالب وغيرها ورأوا البقر المسكي منتشرًا في جميع تلك الاطراف الى مسافة اربعين كيلومترًا من رأس بريطانيا. اهـ

وتوقف الرحيل بعد ذلك الى ان كانت رحلة نانسن المشهورة وكان خروجهُ في شهر يونيو سنة ١٨٩٣ من بلاد نروج وقد قصَّ خبرها في ثلاث رسائل نشرها في بعض الجرائد ثم الَّف فيها كتاباً ضخماً في مجلدين كبيرين وصف فيهما سفرتهُ وما لقي من الاهوال في تلك الارض وقد قضى فيها ما يزيد على ثلاث سنوات بين جبال الجمد وزمهرير العواصف حتى بلغ الى ٨٦°و١٤' من العرض الشمالي وهو ما لم يبلغهُ سائحٌ قبلهُ الاَّ انهُ لم يقع لهُ شيءٌ من مثل ما وقع لغريلي واصحابهِ ثم عجز عن التقدم فرجع ادراجهُ وبلغ نروج في اواخر شهر اوغسطس سنة ١٨٩٦ بعد ان اكتشف كثيراً من تلك النواحي بين اراضٍ وجزُر و بحار واخوار وخلجان وغير ذلك ووصف جميع ما شاهدهُ من طبيعة تلك الارض وصفاً مفصلاً

وتكاثر الوفد بعد ذلك الى تلك النواحي فارتحل سنة ١٨٩٦ سبعة بعوث انتشرت فيما بين مضيق بيمث من غربي غرنلند الى زمبل الجديدة منها البعث الذي يرأسهُ داود برون وقد ارتحل للبحث عما زعمهُ بعض الرواة من وجود آثارٍ للآدميين في جزيرة اسلاندا فلبث هناك الى اواخر سنة ١٨٩٧ وطاف النواحي الشمالية والجنوبية من تلك الجزيرة وجاب ما بينهما عوداً على بدء فوجد في بعض ما احتفرهُ سُرُجاً من الحجر وحلًى من الشبَه ومواعين مختلفة مما ابقتهُ حضارة السكندیناو الاوّلين

وفي سنة ١٨٩٧ ارتحل اندريا وصاحباهُ استرندبرج وفرنكل فنهضوا من جزيرة دنوآء في ١١ من يوليو سنة ١٨٩٧ في منطاد على قصد ان يبلغوا القطب وآخر ما عُلم من خبرهم ان صياداً نرويجياً اصطاد حمامةً في شمالي

سبتزبرج فوجد معها بطاقةً فيها انهم جازوا الدرجة ٨٢ ومذ ذاك غمض خبرهم فلم يُعلَم من امرهم شيء

وبين كل ما ذُكر بعوثٌ اخرى اضربنا عن ذكرها حب الاختصار بعضها اخفق سعيهُ بما اعترضهُ من عراقيل الطريق وبعضها لم يأتِ بكبير امر ولا تزال البعوث تتأهب للرحيل من كل اوب للكشف عما بقي من تلك الارض وتخطيطهِ . ولتسهيل السفر في تلك المجاهل ارتأوا ان ينشئوا محطات بعضها امام بعض يودعونها اقدارًا وافية من الاقوات والمؤن وسائر المرافق الشتوية بحيث تستمرّ من سنة الى سنة وتكون ملجأً لهم كلما امتنع عليهم المسير واضطرّوا الى القرار . فمن المتأهبين للرحيل ياري وسردروب رفيق نانسن وولترلمان وفي عزم الدنمرك ان يوجهوا ركبًا يجعل خطتهُ الشاطئ الشرقي من غرنلند فيتمّ ما شرع فيهِ ريدَر من البحرية الدنمركية سنة ١٨٩١ من كشف القسم الواقع بين ٧٠° والدائرة الشمالية من الشاطئ المذكور وينوي بعثٌ آخر اسوجي ان يرحل تحت إمرة البروفسور نالترست من علماء طبقات الارض لكشف سبتزبرج الشرقية واخيرًا فان البرنس لويس ابن اخي الملك همبرت يتأهب لرحلةٍ يبلغ بها القطب فيأتي اولاً الارض المعروفة باسم فرنسيس يوسف ويقيم هناك مستودعاتٍ للاقوات ثم يرحل جهة القطب على زلاّجاتٍ تجرّها الكلاب مصحوبًا بجماعةٍ حافلة من الاسكيمو وفي نيتهِ ان يتمّ هذه الرحلة سنة ١٨٩٩ ولعلهُ لا يدخل القرن العشرون حتى تكون تلك الارض قد خُطّطت بتمامها